

فن المقالة عند مصطفى صادق الرافعي

محمود فليح القضاء*

ملخص

يهدف هذا البحث إلى دراسة فن المقالة عند مصطفى صادق الرافعي، الذي يعد واحداً من أبرز كتاب المقالة في الأدب العربي الحديث؛ لما قدمه من إنتاج غزير في هذا الفن خاصة في كتابه (وحي القلم)، كما سعت هذه الدراسة إلى الكشف عن روافد المقالة عند الرافعي وبيان أغراضها، إذ تنوعت هذه المقالة، وشملت جوانب المعرفة المختلفة، وكان لا بد من تقسيمها إلى مجموعة من الأغراض: نقدية، وإسلامية، واجتماعية، وسياسية، ووصفية. وقد سعت إلى بيان أهم السمات الفنية للمقالة عند الرافعي كما تجلت في مقالاته المختلفة، وقد اعتمدت الدراسة على المنهج الفني؛ بغية تحقيق أهدافها، فكان لا بد من النظر إلى النص نظرتين: ذاتية وموضوعية، أي الارتكاز على التأثير الذاتي بالنص، وعلى عناصر النص الموضوعية والأصول الفنية.

الكلمات الدالة: الرافعي، المقالة، العربية، الأدب، النقد.

المقدمة

هذه دراسة بعنوان "فن المقالة عند مصطفى صادق الرافعي"، ومصطفى صادق الرافعي من مواليد القرن التاسع عشر، شأنه في ذلك شأن الكثير من المفكرين الذين نبغوا في القرن العشرين، كطه حسين والعقاد وأحمد شوقي وحافظ إبراهيم وعلي الجارم وميخائيل نعيمة وجبران خليل جبران وغيرهم. وقد ولد مصطفى صادق الرافعي بقرية بهتيم بمحافظة القليوبية سنة 1880م، إذ نشأ نشأة عربية إسلامية خالصة بوصفه فرداً في أسرة دأبت أن تنشئ أبناءها منذ الصغر على الثقافة الدينية، وفي ظل والده الشيخ تلقى الرافعي مبادئ القراءة والكتابة، وحفظ أجزاء من القرآن⁽¹⁾ (الكوفحي، 1997). ثم أخذ ينتقل مع والده القاضي الشيخ عبد الرزاق الرافعي من بلد إلى بلد حتى انتهى بأبيه المقام في مدينة طنطا، وفيها قضى الأب بقية عمره، وفيها أيضاً عاش مصطفى كل حياته الأدبية إلى أن انتقل إلى رحمة الله سنة 1937م، وكان في السابعة والخمسين من عمره بعد حياة حافلة بالعطاء والنضال في سبيل اللغة العربية والتراث الإسلامي⁽²⁾ (الشكعة، 1983).

لقد برع الرافعي في كتابة المقالة إلى جانب كثير من الأدباء والنقاد العرب الذين برعوا في هذا الفن، وحين نذكر

الرافعي كاتب مقالة فإننا نذكره أيضاً شاعراً مبدعاً وناقداً بارعاً، فكان من كبار الكتاب الذين خلفوا وراءهم أعمالاً أدبية ونقدية تعد من روائع الأدب العربي، وما مقالاته في كتاب "وحي القلم" إلا نموذجاً أصيلاً لفن الكتابة النثرية، تظهر فيه أبرز خصائص أسلوبه الأدبي، كما ترك الرافعي كتباً أخرى، هي: تاريخ آداب العرب، وإعجاز القرآن والبلاغة النبوية، وتحت راية القرآن، والمساكين، والسحاب الأحمر في فلسفة الجمال والحب، وحديث القمر، وأوراق الورد، ورسائل الأحزان، وعلى السفود، وفي مجال الشعر خلف ديوانين، الأول تحت عنوان "ديوان الرافعي" ويقع في ثلاثة أجزاء، والثاني يحمل عنوان "ديوان النظرات".

وقد خاض الرافعي معارك شرسة في سبيل الحفاظ على اللغة العربية والتراث الإسلامي، وقد وصف بأنه زعيم الفكرة الإسلامية دون منازع، في وقت كانت فيه محاولة النيل من العقيدة الإسلامية واللغة العربية دربا يستهوي كثيراً من أدباء العصر⁽³⁾ (الشكعة، 1983)، والرافعي "عرف بثقافته الأصيلة وغضبه لدينه ودفاعه بلا هوادة عن هويته الحضارية وثوابته العقائدية المرتبطة بأتمته"⁽⁴⁾ (همام، 2003، ص115)، وخصومة الرافعي مع أدباء عصره من أشهر الخصومات الأدبية التي يعرفها أهل العربية، فالخصومة بين الرافعي وطه حسين، وبين الرافعي والعقاد، وبين الرافعي وعبد الله عفيفي مشهورة ومذكورة في موضعها من تاريخ الأدب العربي⁽⁵⁾ (العيان، 1955). وقد كانت المقالة الميدان الأوسع لهذه

* مركز اللغات، جامعة آل البيت، الأردن. تاريخ استلام البحث 2016/04/04، وتاريخ قبوله 2016/06/08.

الرافعي، فهو يرى أن دارس الأدب ينبغي أن يكون محيطاً بشتى أنواع العلوم والمعارف، حين يقول لأحد تلاميذه: "أقرأ كل ما تصل إليه يدك فهي طريقة شيخنا الجاحظ، وليكن غرضك من القراءة اكتساب قريحة مستقلة، وفكر واسع، وملكة تقوى على الابتكار"⁽⁹⁾ (أبو رية، 1950، ص22)، وقوله: "السبيل لدراسة الأدب العربي أن تقرأ كل كتاب، وأن يكون لك طريقة خاصة في الاستنتاج والفهم، وأن يكون لك أسلوب في الكتابة، فاقراً كل ما تجده وما تستطيع أن تجده"⁽¹⁰⁾ (أبو رية، 1950، ص196)، وقوله أيضاً: "لا تظن أن هناك كتباً تنفع في الأدب وكتباً لا تنفع، بل الواجب قراءة كل شيء"⁽¹¹⁾ (أبو رية، 1950، ص198).

وإذا ما تتبعنا الكتب التي أفاد منها الرافعي فهي كثيرة، فمن كتب الأدب العربي التي توافرت له: نهج البلاغة، والبيان والتبيين، والحيوان، وعيون الأخبار، والعقد الفريد، والأغاني، وبيتمة الدهر، وزهرة الآداب، وسر الفصاحة...⁽¹²⁾ (الكوفي، 1997)، كما وقف على كثير من كتب اللغة والنحو والصرف، مثل: لسان العرب، والقاموس المحيط، وشرح الكافية في النحو، وشرح الشافية في الصرف، والألفاظ الكتابية⁽¹³⁾ (أبو رية، 1950)، وغيرها. ولم تكن ثقافة الرافعي الدينية أقل حظاً من ثقافته الأدبية واللغوية، فقد قرأ عدداً من أمات الكتب والتفسير والحديث، كما قرأ كثيراً من كتب التصوف من أجل: "تهذيب النفس وأخذها بالحقائق المختلفة في أمور الدنيا والآخرة"⁽¹⁴⁾ (أبو رية، 1950، ص53).

وقد كان للثقافة الغربية باب في ثقافة الرافعي، فمن يقرأ كتاب (على السفود) للرافعي فإنه يجد الإشارة إلى الناقد الفرنسي جول لمتير⁽¹⁵⁾ (الرافعي، 2001)، والشاعر الفرنسي ملكريور دفوجيه⁽¹⁶⁾ (الرافعي، 2001)، كما تحدث عن سرقات معاصره العقاد من برناردشو⁽¹⁷⁾ (الرافعي، 2001)، وشوبنهاور الألماني⁽¹⁸⁾ (الرافعي، 2001)، كما كان الرافعي ينصح بقراءة بعض الكتب المترجمة، مثل: "سر تقدم الإنجليز" لديمولان آدمون، و"سر تطور الأمم" لغوستاف لوبون، و"السلطة والحرية" لتولستوي، وغيرها⁽¹⁹⁾ (أبو رية، 1950). ما يشير إلى أن الرافعي كان مطلعاً على الثقافة الغربية ولم يكن بعيداً عنها، حاله حال أقرانه من أدباء عصره كالعقاد، والمازني، وعبد الرحمن شكري، وطه حسين، وغيرهم، وبالتالي يمكن القول إن هذه الثقافة كان لها دور واضح في تلوين أدب الأديب، لتكون روافد مهمة تمدد بالأفكار وتوجهه إلى طريقة التعبير، على اعتبار أن الفكر البشري لا يعرف استقلالاً مطلقاً ولا يتكون المفكر بحجب فكره عن عداه، وعن تأثير غيره من أقطاب النظر العقلي، ولن يتكون فكر بالانفصال والانعزال⁽²⁰⁾ (الديدي،

الخصومات، وفي هذا الميدان تجلت عبقرية الرافعي، وفيه نال شهرة واسعة جعلته من أبرز شخصيات العصر الحديث في ميدان الأدب والنقد، ومن يدرس المقالة عند الرافعي فإنه يتحتم عليه دراسة المقالة بوصفه فناً ازدهر وغداً انتشاره واسعاً بين فنون الأدب، فكان لا بد من الاطلاع على كثير من الدراسات التي تناولت فن المقالة بالبحث والتحليل، ولا بد أيضاً من الاستفادة من آراء كثير من الأدباء والنقاد في فن المقالة، ولذلك يمكن القول إن خطة البحث قد استقامت على تقسيم البحث إلى ثلاثة محاور هي:

1- روافد المقالة عند الرافعي.

2- أغراض المقالة عند الرافعي.

3- السمات الفنية للمقالة عند الرافعي.

1- روافد المقالة عند الرافعي

يمكن القول إن الرافعي كان في مقدمة مفكري القرن العشرين الذين تعددت مواهبهم ونضجت، فأنتج كغيره من أدباء العربية روائع تذكر في الأدب ليكون صاحب إبداع وإنجاز، وموضوعات كتاباته متنوعة ومتعددة وإن غلب عليها طابع الدفاع عن اللغة العربية والعقيدة الإسلامية، وقد قيل في الرافعي الكثير من الأقوال التي تدل على مكانته العالية في الأدب العربي المعاصر؛ ليكون حجة العرب وناطقة الأدب وأمير البيان⁽⁶⁾ (بيومي، 1997). وبالتالي فإن هذه المعرفة الواسعة والثقافة المتنوعة لم تأتيا عبثاً، بل كانتا وليدتي جهد دؤوب، ومثابرة واجتهاد في تحصيل العلوم. ولقد كانت المقالة فناً من الفنون الأدبية التي أبدع فيها الرافعي، فمقالاته في كتاب وحي القلم من أجمل ما كتب الرافعي، وقد جمع في هذا الكتاب مجموعة كبيرة من المقالات المختلفة في شتى أنواع المعرفة، ولا ننسى كتابيه على (السفود، وتحت راية القرآن) وما فيهما من مقالات جادت بها نفسه. وهنا يمكن القول إن الثقافة الواسعة التي حصلها الرافعي كانت رافداً مهماً من روافد المقالة لديه، فأسباب المعرفة والاطلاع قد تيسرت للرافعي، فوالده له مكتبة تجمع كتباً كثيرة من نواذر الفقه والدين والعربية، فأكب عليها يقرأها ويستوعبها ولم يمض وقت طويل حتى أحاط الرافعي بتلك الكتب وراح يطلب المزيد من القراءات⁽⁷⁾ (العيان، 1955)، وقد عرف عن الرافعي شغفه الكبير بالقراءة، فهو يقرأ كل يوم ثماني ساعات متواصلة، وإذا زاره زائر في مكتبته فإنه يجلس قليلاً يجيبه ويستمتع لما يقوله، ثم يتناول كتاباً مما بين يديه ويقول لمحدثه تعال نقرأ، وفي القهوة، وفي القطار، وفي الديوان، لا تجد الرافعي وحده إلا وفي يده كتاب⁽⁸⁾ (العيان، 1955)، وقد كانت الموسوعية والموهبة والذاكرة القوية ما ميز

الاستعمار حارب اللغة العربية " عن طريق الدعوة إلى العامية بواسطة بعض الأقلام المأجورة " (27) (الطويل، 1987، ص60)، الأمر الذي دعا الرافعي بطبيعة تكوينه الفكري أن يتناول قلمه ليدافع عن العربية، واللغة العربية فيما يرى الرافعي أساس الأمة الإسلامية "فلا نرضى إلا أن يكون هذا الأساس ثابتاً متيناً لا يزعه شيء ولا يثلمه شيء ولا يضعفه شيء" (28) (الرافعي، ص390)، وسرعان ما كان الدفاع عن العربية والإسلام أساساً لمقالات ينشرها مرة في الصحف والمجلات، ومرة أخرى تكون على هيئة مقدمات لدواوينه الشعرية.

2- أغراض المقالة عن الرافعي:

يعد الرافعي أديب العربية وعالمها وفيلسوفها، فقد ساهم في إغناء المكتبة العربية الأدبية بمؤلفات عديدة وفريدة نالت حظاً وافراً من الشهرة، وقد كان لفن المقال نصيب وافر في حمل آراء الرافعي في الأدب والنقد وفلسفته في الحياة، ولكثرة مقالاته وتنوعها وشمولها جوانب المعرفة المختلفة كان لا بد من تقسيمها إلى أقسام تمثل أغراض المقالة عند الرافعي على النحو التالي:

أ- مقالة النقد الأدبي: وتكون في حقول الأدب وفيها تظهر قدرة الكاتب على تذوق الأثر الأدبي، ثم تحليل الأحكام وتفسيرها وتقديم الأثر بوجه عام (29) (نجم، 1957)، وعلى الناقد أن يتجرد من أحقاد، ويتوخى العدالة في أحكامه، وأن يكون عالماً بالمثل العليا قبل التعرض لأي فكرة أو عاطفة أو أسلوب (30) (أبو ذكري، 1982، ص77)، ويمكن القول إن مقالات النقد الأدبي عند الرافعي قد تركزت في كتبه: (تحت راية القرآن) الذي كتبه رداً على طه حسين في كتابه (في الشعر الجاهلي)، و(على السفود) الذي يجسد واحدة من أشهر المعارك الأدبية التي دارت بين الرافعي والعقاد، و(وحي القلم) وهو مجموع مقالات الرافعي في مجلة (الرسالة) بين سنتي 1934 و1937. وقد طرح الرافعي كثيراً من الأفكار والآراء النقدية، التي يمكن تلمسها في مقالاته المختلفة، وقد لجأ الرافعي في هذا الباب من مقالاته إلى أسلوب العرض والتوضيح، كأن يقدم رأياً أو حكماً في النقد، وهذا قد يستغرق فقرة أو فقرتين، ثم أن هذا الحكم أو الرأي يحتاج إلى العرض والتوضيح وذلك بتقديم الأمثلة التوضيحية، ومستقيداً أيضاً من أسلوب السرد في تقديم كثير من تلك الآراء والأحكام النقدية التي كان يقدمها، فالنقد فيما يقول الرافعي: "إنما هو إعطاء الكلام لساناً يتكلم به عن نفسه كلام متهم في محكمة ليقيم أو يزيج شبهة أو يقر حقيقة أو يبسط معنى أو يوجه علة أو

(1987)، كما أن الكاتب أو الشاعر الأصيل هو الذي يفخر بما هضمه وتمثله من آراء الآخرين وثقافتهم، سواء كان من بني قومه أو من كبار الكتاب والشعراء العالميين (21) (هلال، 1980).

وللبينة أثر واضح فيما كتب الرافعي من مقالات، فالأديب يتأثر ببينته ويؤثر فيها، وللبيئة دور في تكوين شخصية الأديب وتحديد اتجاهه، "والعصر والبيئة في توجيه العالم أو التأثير فيه كمثل الهواء والشمس في نمو النبات والحيوان" (22) (أبو زهرة، ص89)، وأكثر دارسي الأدب يذهبون إلى أن معرفة البيئة التي نبت فيها أديب ما أمر ضروري من أجل التعرف إليه، بحسبها من العوامل التي من شأنها أن تؤثر في تكوين شخصيته، وتحديد اتجاهه (23) (الكوفي، ص67)، فنشأة الرافعي كانت في مدينة طنطا وإقامته فيها إلى أن توفي، الأمر الذي كان له أثر في أدب الرافعي المهتم بالثقافة العربية والعلوم الدينية، فطنطا كانت مركزاً هاماً من مراكز الثقافة في مصر، وفي أهلها حفاظ، ولها صبغة دينية نشأت من أن فيها معهداً دينياً كبيراً في الجامع الأحمدى كان في وقت ما ينافس الجامع الأزهر بالقاهرة، والأزهريون في طنطا كالأزهريين في القاهرة، أكثر أهل العلم في مصر محافظة على الموروث (24) (العيان، 1955)، وفي مقاله (قرآن الفجر) يصف الرافعي الجو الديني الذي نشأ فيه، فيقول: "كنت في العاشرة من سنّي، وقد جمعت القرآن كله حفظاً، وجودته بأحكام القراءة، ونحن يومئذ في دمنهور عاصمة البحيرة، وكان أبي رحمه الله كبير القضاة الشرعيين بهذا الإقليم، ومن عادته أنه كان يعتكف كل سنة في أحد المساجد عشرة الأيام الأخيرة من شهر رمضان... وذهبت ليلة وبنت عند أبي في المسجد، فلما كان جوف الليل الأخير، أيقظني للسحور، ثم أمرني فتوضأت لصلاة الفجر، وأقبل هو على قراءته" (25) (الرافعي، 1990، ص28)، فكان إعدادة في أسرة مؤمنة، جعلته يأخذ هذه الوجهة الدينية وهذا الاتجاه الخلقي، ولتحمل رسالة أدبية واسعة الأفق، ويكون كاتب الإسلام فيما بعد، والرافعي نفسه لم يكن بعيداً عن القضاء والقضاة، فقد شغل وظيفة كاتب محكمة فكان يستعير أحياناً في كتاباته النقدية بعض الألفاظ من بيئة المحاكم التي ألفها، كقوله: "إذا قرأت في شعر أصحابنا أولئك، رأيت من لفظ كالشرطي أخذ بتلابيب لفظ مجرم، إلى كلمتين هما معاً كالضارب والمضروب" (26) (الرافعي، ص244).

كما أن المناخ السياسي من العوامل التي تتحكم في نتاج الأديب، وحين أطل الرافعي على الحياة الأدبية في مطلع القرن العشرين، كانت أكثر بقاع العالم الإسلامي تحت وطأة الاستعمار، ونظرة إلى المجتمع المصري آنذاك نجد أن

ويمكن القول إن مقالات (على السفود) قد وجهت الأدب والنقد وجهة أخرى لا تمت إلى النقد بصله، فبدلاً من أن تكون هذه المقالات موضوعية لا انحياز فيها، كانت العصبية واضحة في إطلاق الأحكام، فكان نقد الرافعي للعقاد يعد مثالا من الأمثلة النقدية التي تحول فيها النقد إلى خصومة وعراك بين النقاد، كقول الرافعي: "ولا ريب عندنا أن العقاد بعد هذه السفافيد كالمرأة بعد سقوط أسنانها"⁽³⁷⁾ (الرافعي، 2001، ص31)، والأمثلة كثيرة على النقادات الجارحة في كتاب (على السفود)، ويقول العريان في نقد الرافعي للعقاد: "فليس بنا من حاجة إلى أن يحتذي النقدة هذا المثال في أسلوب النقد والجدل فيزيديا عيباً فاحشاً إلى عيوب النقد في العربية"⁽³⁸⁾ (العريان، 1955، ص191)، كما وصفت طريقة الرافعي في (على السفود) بأنها ليست بدعا في النقد في تلك الحقبة من تاريخنا الأدبي، فقد كانت شتنة أكثر النقاد⁽³⁹⁾ (السحرتي، 1948). كما أن الرافعي نفسه قد دعا إلى أهمية إظهار محاسن العمل الأدبي، حين تحدث عن الذين يتعاطون النقد وليس لهم وسائله، بأنهم جهلوا أن الناقد الأدبي إنما يلقي درساً عالياً لا يدل فيه على العيوب الفنية إلا بإظهار المحاسن التي تقابلها فيكون النقد تهنئياً وتخليصاً لفنون الأدب كلها⁽⁴⁰⁾ (الرافعي، 1990).

وقد حاول الرافعي تقديم فهم خاص لحقيقة الشعر، حين يقول في مقدمة الجزء الأول من ديوانه "ما الشعر إلا لسان القلب إذا خاطب القلب وسفير النفس إذا ناجت النفس، ولا خير في لسان غير مبين ولا في سفير غير حكيم"⁽⁴¹⁾ (الرافعي، 1322هـ)، ويعرف الشعر في مقدمة الجزء الثاني من ديوانه "بأنه معنى لما تشعر به النفس، فهو من خواطر القلب إذا فاض عليه الحس من نوره انعكس عليه الخيال فانطبعت فيه معاني الأشياء كما تنطبع الصورة في المرأة، وهو من بعد كالحلم يخلق في المخيلة مما يصل إلى الأعين، ويتأدى إلى الآذان ما لا يكون قد وصل ولا تأدى"⁽⁴²⁾ (الرافعي، 1322هـ). ولم يقف الرافعي عند عنصر الشعر فقط بل تحدث عن الشاعر والمتلقي وغير ذلك مما يتصل بالعمل الإبداعي، فكيف نظر الرافعي إلى الشاعر؟ لقد عدّ الرافعي الشاعر ذلك الإنسان الذي يتوافر على مؤهلات ليست لغيره من الناس. فهو يرى الأشياء بطريقة مختلفة تمكنه من الغوص في أغوارها واكتناه أسرارها وذلك لأنه "يرى الطبيعة كلها بعينين لهما عشق خاص وفيهما غزل على حده"⁽⁴³⁾ (الرافعي، 1990، ص235)، كما يحدثنا عما يمتلكه الشاعر من مؤهلات في قوله: "والإنسان من الناس يعيش في عمر واحد، ولكن الشاعر يبدو كأنه في أعمار كثيرة من عواطفه، وكأنما ينطوي على نفوس مختلفة تجمع الإنسانية من أطرافها، وبذلك خلق ليفيض

يكشف خافياً أو يثبت نقيصة أو يظهر إحساناً، وبالجمله هو نفص السيئة والحسنة، ووقوع أدلة العلم والفن والذوق مواقعها، وتكلم الكلام بذات نفسه ما تنكر منه وما تستجيد"⁽³¹⁾ (الرافعي، 1990، ص240). وهو يرى أن الناقد يمكنه أن يأخذ دور المبدع الذي يستطيع أن يبدع في فنون الأدب، فيزيد في المادة الأدبية "ويسهلها على القراء ويحصلها لهم تحصيلاً لا يبلغونه بأنفسهم، ويعطيهم من كل ضعيف ما هو قوي، ومن كل قوي ما هو أقوى"⁽³²⁾ (الرافعي، 1990، ص238). لذلك ليس من السهل أن يكون كل شخص ناقداً، فيقول في صفة الناقد: "هو الكاتب، وهو شاعر، والأديب وهو فيلسوف، والمصلح وهو موفق"⁽³³⁾ (الرافعي، 1990، ص325).

وفي العلاقة بين الناقد والمبدع يرى الرافعي أن العلاقة لا بد أن تكون تكاملية، فعلى الناقد أن ينظر نظرة عميقة في النص المنقود، يتجلى فيها عناصر العمل الأدبي، ويستكشف مكنوناته بنظرة الناقد الثاقبة، لا نظرة القارئ العاجلة، لذلك "فلا بد للناقد من قراءتين على أساسين مختلفين، فقراءة أولى يتذوق بها، وإلى هنا ليس هو بالناقد، لأنه ربما قرأ وتذوق ووقف عند هذا الحد لا يتكلم ولا يكتب، أما إذا هم بالكلام أو الكتابة ليعلل تذوقه، فهنا تأتي قراءة ثانية يبحث من خلالها، عن المقومات الخاصة في القطعة الأدبية، التي أدت إلى تذوقه لها على النحو الذي وقع"⁽³⁴⁾ (محمود، 1986، ص223).

وقد شغل الرافعي بموضوع السرقة الشعرية كثيراً وقدم مجموعة من المقالات في هذا الباب في كتابه (على السفود)، وكان الاتهام فيها للعقاد بالسرقة الشعرية اتهاماً صريحاً، فيقول الرافعي: "في 28 من أغسطس من هذه السنة 1929، صدرت جريدة الحال الأسبوعية في القاهرة، وفيها مقال عنوانه: "لو...! تأثيرها في تاريخ العالم"، وفي 2 من سبتمبر — بعد أربعة أيام — صدرت مجلة الجديد مفتحة بمقال هذا عنوانه: لو للكاتب القدير الأستاذ عباس محمود العقاد!!!! وكلتا المقاليتين مترجمة عن الأستاذ: "هيرتسو" مدرس التاريخ بكلية الملك في جامعة لندن نقلاً عن مجلة "الأوتلاين الإنجليزية". غير أن اللص الجبار!!! زعم لنفسه الشركة في علم أستاذ التاريخ فساق الكتابة في أسلوب يوهم القارئ أنه هو صاحب البحث ومخترع العنوان..."⁽³⁵⁾ (الرافعي، 2001، ص57)، كما وجه الرافعي في مقالاته نقداً لاذعاً وقاسياً للعقاد وشعره على السواء، وتحول نقده إلى سب وشتم وذكر للعيوب، فكانت مقالاته أقرب ما يكون إلى المقالة السجالية التي عادة ما تكون حرباً كلامية، يكون فيه الظفر فيها للأقوى تأثيراً واستمالة، لا إقناعاً واستدلالاً⁽³⁶⁾ (همام، 2003)، وتكون السخرية والاستهزاء بالخصم هي الطابع المسيطر على هذا النوع من المقالات.

الرافعي كان هاديا ومؤثرا في أولئك الأدباء⁽⁵¹⁾ (الشكعة، 1983)، ومن أبرز المعارك القلمية التي خاضها الرافعي مع أولئك الأعلام كانت مع طه حسين، إذ قدم الرافعي في كتابه (تحت راية القرآن) مقالات عديدة⁽⁵²⁾ هاجم فيها طه حسين بسبب الآراء والأباطيل التي قدمها طه حسين في كتابه (في الشعر الجاهلي)، فيما يخص القرآن الكريم والشعر الجاهلي، مع أن الرافعي في نقده لطله حسين كان حادا وقد وصل في أسلوبه إلى حد الهجاء والسخرية اللاذعة، ويمكن القول بأن المعركة التي كانت قائمة بينه وبين طه حسين قد وصلت إلى مرحلة النبل الشخصي من طه حسين، فقد قدم الرافعي مجموعة من المقالات في كتابه (تحت راية القرآن) حاكي بها أسلوب كليل ودمنة هاجم فيها طه حسين. وفي دفاعه عن الإسلام عندما هاجم مصطفى كمال الإسلام وازدري العربية، قام الرافعي في وجهه منتصرا للإسلام فيقول في مقالة (تاريخ يتكلم) "يرى هذا الطاغية أن الدين الإسلامي خرافة وشعوذة عن النفس، وأن محو الأخلاق الإسلامية العظيمة هو نفسه إيجاد أخلاق، وأن الإسلام كان جريئا حين جاء فاحتل هذه الدنيا، فلا يطرده من الدنيا إلا جراءة شيطان كالذي توقع على الله حين قال: فبعزتك لأغوينهم أجمعين. ولهذا أمر الناس بسب الصحابة، وأن يكتب ذلك على حيطان المساجد والمقابر والشوارع!.. أخزاه الله! أهى رواية تمثيلية يلصق الإعلان عنها في كل مكان؟ لو سمع لسمع المساجد والمقابر والشوارع تقول: أخزاه الله...!"⁽⁵³⁾ (الرافعي، 1990، ص 204).

ونجاح الرافعي من المقالات الإسلامية ليس بالقليل، بل كان نتاجاً كبيراً وفيه من التنوع ما يجعل القارئ ينفذ إلى زوايا إسلامية عديدة يسبر أغوارها، وينفذ إليها من باب التفصيل والتدقيق وليس من باب التعميم، فكانت مقالاته الإسلامية منارة يهتدي بها الظالمون لمنهج الإسلام وحقيقته. وحين تطالع مقالات الرافعي الإسلامية فإنك تصادف أبواباً ولج إليها العقاد بابا بابا، فمن هذه الأبواب ما تناول شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم، ومنها ما تناول العبادات الإسلامية وأثرها في تكوين الفرد المسلم، ومنها ما تناول كبار الشخصيات الإسلامية، كذلك تناولت تلك المقالات مكانة الدين الإسلامي وفلسفته في الحياة.

وحين يتناول الرافعي حياة النبي _ محمد صلى الله عليه وسلم _ في مقالة (وحي الهجرة)، فإنه يبحر في هذه الحياة كما يبحر في جهاد النبي صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة ويفصل جوانب حياته تفصيلاً دقيقاً، فيقول ببساطة: "نشأ النبي صلى الله عليه وسلم، واستتبى على رأس الأربعين من سنه، وعبر ثلاث عشرة سنة يدعو إلى الله قبل أن يهاجر إلى المدينة، فلم

من هذه الحياة على الدنيا، كأنما هو نبع إنساني للإحساس يغترف الناس منه"⁽⁴⁴⁾. وكما وقف الرافعي عند الشاعر والشعر فإنه يقف عند المتلقي. يقول الرافعي عن المتلقي الناقد: "والشاعر والناقد يلتقيان جميعاً في القارئ فوجب من ثم أن يكون الناقد قوة تكشف قوة مثلها أو دونها ليصح فن فنا مثله أو يقره أو يزيد عليه فضل بيان ومزية فكر"⁽⁴⁵⁾ (الرافعي، 1990، ص 240). وهنا يظهر من خلال هذه الاقتباسات اهتمام الرافعي بالعناصر الثلاثة: الشعر والشاعر والمتلقي، فقد أوصى الرافعي بأن يكون الشاعر مقتدراً فاعلاً في المجتمع وأن يكون الشعر ذا وظيفة سامية وهي الإصلاح بالجمال وفعل الخير، كما أكد دور المتلقي الذي يجب أن يعرف قيمة الشعر ويفصل بين النافع والضار، ولا سبيل إلى ذلك إلا بمعرفة مواطن الجمال فيه"⁽⁴⁶⁾ (علوي، 2004). ويمكن القول إن آراء الرافعي النقدية التي جاءت مبثوثة في مؤلفاته قد كان لها نظير في كتب النقد العربي القديم، وإلى هذا ذهب عبد الحي دياب حين رأى في آراء الرافعي النقدية صدق كبير للنقد العربي القديم⁽⁴⁷⁾ (دياب، 1968)، وإن ذهب آخرون إلى أن الرافعي قد تجاوز في نقده حدود المنهج القديم وأن منهجه أقرب إلى ما يسمى المنهج التكاملي⁽⁴⁸⁾ (البدرى، 1980).

ب- المقالة الإسلامية: يمكن القول إن المقالة الإسلامية هي التي تعالج قضية من القضايا الإسلامية، أو تعرض لكتاب من الكتب الإسلامية، أو تدرس شخصية من الشخصيات الإسلامية، أو التي تناقش مسألة تهم الأمة الإسلامية. وقد تناول الرافعي باعتبار تكوينه الثقافي العربي الإسلامي كثيراً من القضايا الإسلامية في مقالاته، وكان يعالج هذه القضايا علاجاً ينحو فيه نحو الإقناع المنطقي، معلقاً بشفافية المؤمن وأسلوب الأديب، مما يمكن أن يجعل هذه المقالات ومثيلاتها نوعاً فريداً من الأدب الديني الرفيع⁽⁴⁹⁾ (الشكعة، 1983).

ويصف محمد سعيد العريان الرافعي بأنه "أديب الأمة العربية المسلمة، يعبر بلسانها وينطق عن ذات نفسها، فما يعيب عليه عائب إلا من نقص في وسائله، أو كدرة في طبعه، أو لأن بينه وبين طبيعة النفس المسلمة التي ينطق الرافعي باسمها حجاباً يباعد بينه وبين ما يقرأ روحاً ومعنى"⁽⁵⁰⁾ (الرافعي، 1990، ص 7). والمتأمل لمقالات الرافعي الإسلامية يجد دفاع الرافعي المستميت عن العربية والإسلام، ولذلك خاض الرافعي معارك قلمية فكرية ضارية مع أعلام الكتاب في ذلك الوقت، كطه حسين، وأحمد لطفي السيد، ومحمد حسين هيكل، وعباس العقاد، وغيرهم، وتجدر الإشارة إلى أن هؤلاء الأدباء قد أصبحوا فيما بعد من رواد المقالة الإسلامية ومن الداعين إلى الإسلام، ومن الممكن القول إن

تعددت قضاياها وتنوعت، ومن هذه المقالات التي قدمها الرافعي: حقيقة المسلم، ودرس من النبوة، وتجديد الإسلام، والإشراق الإلهي وفلسفة الإسلام، والله أكبر، وغيرها الكثير. ومن خلال ما قدمه الرافعي من مقالات إسلامية فإنه يمكن القول إن الرافعي كان بحق رائد المقالة الإسلامية، وصاحب القلم الذي خاض معارك الفكر في الذود عن حياض الإسلام، وهو القائل: "أنا لا أعاباً بالمظاهر والأغراض التي يأتي بها يوم وينسخها يوم آخر، والقِيلة التي أتجه إليها في الأدب إنما هي النفس الشرقية في دينها وفضائلها، فلا أكتب إلا ما يبعثها حية، ويزيد في حياتها وسمو غايتها، ويمكن لفضائلها وخصائصها في الحياة؛ ولذا لا أمس من الآداب كلها إلا نواحياً العليا؛ ثم إنه يُخيل إليّ دائماً أنني رسول لغوي بعثت للدفاع عن القرآن ولغته وبيانه"⁽⁵⁷⁾ (الرافعي، 1990، ص257).

ج- المقالة الاجتماعية: وهي التي تهتم بقضايا الناس من حيث نقد القيم والمفاهيم، والعادات والتقاليد سواء أكانت قديمة بالية أم جديدة مستحدثة، وعدّة الكاتب في هذه المقالة، هي الملاحظة الدقيقة، والقدرة على إحكام الوصف، وإجادة التحليل⁽⁵⁸⁾ (أبو الأنوار، 1981). كما أن المقالة الاجتماعية تنقد العادات المزدولة التي يتمسك بها المجتمع أو البدع الضالة التي تشيع فيه خلال فترات زمنية متعاقبة⁽⁵⁹⁾ (زهدي، 2009). وبالتالي فإن مجالات المقالة الاجتماعية كثيرة، مثل: الأخلاق، والمرأة، والطفولة، الفقر، والجريمة والانحراف وغيرها. ويمكن القول إن البيئة لها دورها الكبير في هذا النوع من المقالات، فإذا ما تحدثنا عن الأخلاق فيجب الإشارة إلى أن الرافعي ينتمي إلى أسرة ملتزمة دينياً، كما أن البيئة المكانية في مدينة طنطا ذات الصبغة الدينية لها دور في إرساء القيم والمفاهيم التي تتضمنها المقالة الاجتماعية، ومن هنا كانت نشأة الرافعي نشأة إسلامية خالصة قوامها الخير والعدل والمحبة، لتكون هذه الصور هي الأساس الذي كان ينطلق منه الرافعي في مقالاته الاجتماعية، فها هو في مقالة (الطائشة) يتحدث عن الأخلاق التي يجب أن تتحلّى بها المرأة المسلمة التي هي عماد المجتمع، وهنا يضعنا الرافعي أمام الفتاة المتحررة التي تتبع شهواتها وغرائزها وتبتعد عن الدين والشرف والفضيلة بحجة الحرية والتعليم والتحرر من التقاليد، فما كانت هذه الفتاة إلا من ذلك الزمن: "الذي كسد فيه الزواج، ورق فيه الدين، وسقط الحياء، والتهبت العاطفة، وانتشر اللهو، وكثرت فنون الإغراء، واصطلح فيه إبليس والعلم يعملان معاً؛ وأطلقت الحرية للمرأة، وتوسعت المدارس فيما تقدّم للفتيات، وأظهرت من الحفاوة بهن أمراً مفرطاً حتى أخذن منها ربع العلم؟"⁽⁶⁰⁾

يكن في الإسلام أول بدايته إلا رجل وامرأة وغلّام، أما الرجل فهو هو صلى الله عليه وسلم، وأما المرأة فزوجه خديجة، وأما الغلام فعلي ابن عمه أبي طالب، ثم كان النمو في الإسلام بحرّ وعبد، أما الحر فأبو بكر، وأما العبد فبلال...⁽⁵⁴⁾ (الرافعي، 1990، ص19). وفي حديث الرافعي عن العبادات من صوم وصلاة وزكاة وغيرها من العبادات، فإنك تجد حديث الأديب المسلم الذي لا يكرر ما قاله الآخرون ولا يعيد ما ألفته الأذن فيما سمعت، بل تجد خطاباً عالي المستوى يرقى إلى درجة الأدب العالي الذي يشدك إلى قراءته دون تملل أو سأم، ومقالات الرافعي في هذا الباب كثيرة، منها مقالة (الله أكبر) وفيها تحدث عن الأذان وقوة تأثيره في النفس البشرية المسلمة، فهذه فتاة كادت أن تقع في الخطيئة بعد أن تهيأت لها أسبابها، إلا أن (الله أكبر) التي رددته المؤذن كانت السبب في استنقاذها من غفوتها ورجوعها إلى الصواب قبل الوقوع فريسة للشيطان، ويقدم لنا الرافعي هذه المقالة بأسلوب السرد إذ يقدم لنا صورة واضحة ومفصلة للموقف عبر الوصف الدقيق للأحداث الأمر الذي يجعل القارئ يخرج بصورة واضحة للحادث كما لو كان قد شاهده أو مر به. يقول الرافعي: "الله! صوت رهيب ليس من لغة صاحبها ولا من صوته، ولا من خسته، كأنما تفرغ السماء فيه ملء سحابة على رجب قلبها، فتتقيه حتى ليس به ذرة من دنسه الذي ركبه الساعة، كان لصاحبها في حس أعصابها ذلك الصوت الأسود [قبل الأذان] المنطفئ المبهم المتلجلج مما فيه من قوة شهواته؛ للمؤذن صوت آخر في روحها، صوت أحمر، مشتعل كمعمعة الحريق، مجلجل كالرعد، واضح كالحقيقة فيه قوة الله. سمعت صوت السلسلة بعينها يكسر حديدتها ويحتطم، كانت طهارتها تختنق فنفذت إليها النسمات، وطارت الحمامة حين دعاها صوت الجو، بعد أن كانت أسفت حين دعاها صوت الأرض... طارت الحمامة لأن الطبيعة التفتت فيها لفتة أخرى... ويكرر المؤذن في ختام أذانه "الله أكبر الله أكبر" فإذا...⁽⁵⁵⁾ (الرافعي، 1990، ص316).

ويتحدث الرافعي عن كبار الشخصيات الإسلامية ويحاول أن يبرز نواحي العظمة والبطولات في هذه الشخصيات، ففي مقالة (اليمامتان)⁽⁵⁶⁾ (الرافعي، ص18)، يلقي الأضواء قوية ساطعة على شخصية عمرو بن العاص الذي حنق فن السياسة فكان من دهاتها، وتميز بصفات القيادة والريادة والحنكة، ويشيد الرافعي بشخصية عمرو رضي الله عنه الذي أصبح صورة المسلم الحق ملأت أعين من رآه من أقباط مصر وحببت بعضهم في هذا الدين. وبالتالي فإنه يمكن القول إن مقالات الرافعي الإسلامية قد

(الرافعي، 1990، ص160). ومن ثم فيشير الرافعي إلى التحولات الخطيرة في المجتمع، إذ لا تأبه الفتاة في المجتمع بالعلم الذي تأخذه من مدرستها بقدر ما تأخذه من علم السينما والروايات فرب "منظر يشهده في السينما ألف فتاة بمرة واحدة، فإذا استقر في وعيها، وطافت به الخواطر والأحلام؛ سلبهن القرار والوقار فمثلته ألف مرة بألف طريقة في ألف حادثة!" (الرافعي، 1990، ص161).

وتبقى المرأة أيضاً ركيزة أساسية في المجتمع طالما طالب الرافعي بالمحافظة عليها، حين وضع دورها في الحياة وطبيعة علاقتها مع الرجل، وعندما يتناول الرافعي صورة المرأة في المجتمع فإنه يريدها تلك الصورة التي تتناسب مع دورها الذي خلقها الله من أجله، ذلك الدور الذي يتناسب مع طبيعتها وأنوثتها، وهو (الرافعي) يريد أن تكون المرأة في حالها كحال أزواج النبي - صلى الله عليه وسلم - مثلاً للمرأة المسلمة كما في مقالة (فلسفة المال) ثم قال الإمام: وأنا فقد دخلت على أزواج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ورأيتهن في دورهن يقاسين الحياة، ويعانين من الرزق ما شح ذره فلا يجيء إلا كالقطرة بعد القطرة، وهنّ على ذلك، ما واحدة منهن إلا هي ملكة من ملكات الأدمية كلها، وما فقرهن إلا كبرياء الجنة نظرت إلى الأرض فقالت: لا....! يجاهدن مجاهدة كل شريف عظيم النفس، همه أن يكون الشرف أو لا يكون شيء" (الرافعي، 1990، ص133). ويستشهد الرافعي بالحديث النبوي الشريف على الفطرة الصحيحة التي يجب أن تكون عليها المرأة المسلمة، وهي أن تكون مثالا للحشمة والوقار، أما في باب التزين فيجب أن تزين المرأة لزوجها وليس لغيره، ولا يكون هدفها التبرج الذي قد يقودها إلى الانحطاط والفساد "وقد روبنا عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: "اطلعت في الجنة فإذا أقل أهلها النساء، فقلت: أين النساء؟ قال: شغلن الأحمران: الذهب والزعفران" أي: الطمع في الغنى والعمل له، والميل إلى التبرج والحرص عليه" (الرافعي، 1990، ص133). ويمكن القول إن الأبواب التي تناول فيها الرافعي المرأة كثيرة ويمكن للقارئ أن يتتبعها في مقالاته المختلفة (64).

وبعالم الرافعي جانباً آخر من جوانب المقالة الاجتماعية، وهو جانب الطفولة، وقد شغلت الطفولة حيزاً كبيراً في كتابات الرافعي، وقد فاض قلمه ببيان رائع عن الطفل والطفولة وموجها الأنظار إلى شريحة من شرائح المجتمع يستجلي من خلالها فلسفة الحياة ومعنى الإنسانية، ويكشف سوءات واقع يمتحن معاني الطفولة، وقد وعى الرافعي هذا الانحراف والتشوه الذي أصاب بنية الحياة الاجتماعية، فيقدم الرافعي صورة جميلة للطفولة صورة للبراءة في عالم استوحش فيه الإنسان، "أيتها

الرياض المنورة بأزهارها، أيتها الطيور المغردة بألحانها، أيتها الأشجار المصفقة بأغصانها، أيتها النجوم المتلألئة بالنور الدائم، أنت شتى، ولكنك جميعاً في هؤلاء الأطفال يوم العيد" (الرافعي، 1990، ص43)، "إننا لن ندرك روعة الجمال في الطبيعة إلا إذا كانت النفس قريبة من طفولتها ومرح الطفولة ولعبها وهذيانها" (الرافعي، 1990، ص56)، "هؤلاء الأطفال السعداء الذين لا يعرفون قياساً للزمن إلا بالسرور" (الرافعي، 1990، ص40)، وهنا يظهر معنى الطفولة عند الرافعي حين يرتبط هذا المفهوم بالبراءة والفرح والطمأنينة والسرور. ويقابل الرافعي تلك الصورة الجميلة للأطفال بصورة أخرى بائسة حين يلتفت إلى الأطفال الفقراء في مقالة (أحلام في الشارع)، فيرسم مشهداً لطفلين فقيرين يتضوران جوعاً وهما متوسدان عتبة البنك "يا عجباً بطنان جائعان في أطمار بالية يبيتان على الطوى والهمل ثم لا يكون وسادهما إلا عتبة البنك، ترى من لعن البنك بهذه اللعنة الحية؟" (الرافعي، 1990، ص86). لقد قام الرافعي بتصوير الطفولة المشردة مجسدة بالطفلين أحمد وأمينة اللذين افترشا الرخام البارد، ومن ثم يرسم لوحة في غاية الحزن حين تنام الطفلة ويدها مرسلة على أخيها كيد الأم على طفلها، ويتساءل الرافعي "أهما طفلان؟ أم كلاهما تمثال للإنسانية التي شقيت بالسعداء فعوضها الله من رحمته ألا تجد شقياً مثلاً إلا تضاعفت سعادتها به؟" (الرافعي، 1990، ص84).

لقد كان عالم الطفولة مثار اهتمام الرافعي، وكان أدبه ساحة لهذا العالم بأسلوب ينم عن ثقافة واسعة وخيال متجدد، يلجأ إلى القصة في طرح معانيه ويوظف الوصف والحوار في ما يكتب عن الطفولة مصوراً أفراسها في جانب وآلامها ومدى الانحراف الذي أصاب الطفولة في المجتمع في جانب آخر. ويمكن للقارئ أن يتلمس مقالات الرافعي الاجتماعية فيما قدمه من مؤلفات، خاصة في مؤلفه (وحي القلم)، كما في مقالاته: قصة زواج وفلسفة المهر، واستنوق الجمل، والجمل البائس، ودموع من رسائل الطائشة، والطفولتان وغيرها.

د- المقالة السياسية: وهي المقالة التي تعنى بالقضايا السياسية المختلفة، كنظام الحكم، وصلاحيات الحاكم وفساده، كما تعنى بالوطن واستقلاله، ومحاربة المستمر، وإيقاظ الشعور الوطني العام في نفوس الشعب للمطالبة بحقه في الحرية والاستقلال (70) (الحديدي، 2003، ص35)، وقد كانت الأحداث السياسية في زمن الرافعي متلاحقة مندفعة، ويمكن القول إن سبب هذه الأحداث هو الاحتلال الإنجليزي لأرض مصر، ولغيرها من بلدان العالم العربي والإسلامي، وقد شغلت هذه الأحداث السياسية الكتاب في ذلك الوقت وعلى رأسهم

كثيرة أبرزها (كفر الذبابة)، إذ يلجأ الرافي إلى الرمز، فيجري الحوار بين كليله ودمنه، ويجعل من كليله الناصح ومن دمنه المغرور المتعالي، ويرى الرافي أن مصطفى كمال هو الطاغية ويمثله بالعنز التي زعموا أنها أنثى الفيل، ثم مثل هذه العنز بالذبابة التي كفرت فأخذها الله أخذاً، وفي المقالات التي سجلها الرافي في تاريخ مصطفى كمال قدم الرافي صورة دقيقة لحقيقة الحاكم المستبد المغرور.

وعلى النقيض من ذلك يخط الرافي مقالة سياسة تحت عنوان (سعد زغلول) وفيها يمجّد سعد، فسعد رجل عظيم، ما نظر إليه وطني إلا بعين فيها دلائل أحلامها، وإذا رأيتك كان في فكري قبل أن يكون في نظرك، فأنت تشهده بنظرين: أحدهما الذي تبصر به، والآخر ذاك الذي تؤمن به. وسعد كما يراه الرافي هو رجل الشعب الذي يحس كل مصري أنه يملك فيه ملكاً من المجد، لأن سعد وحده الذي أفلح في أن يكون أستاذ المقاومة لهذه الأمة.

هـ- المقالة الوصفية: وهي التي تصور البيئة المكانية التي عاشها الكاتب، أو مر بها تصويراً ينم عن إحساس عميق وبصر نافذ، وإدراك واع، مع دقة الملاحظات والتعاطف مع الطبيعة⁽⁷²⁾، ومن خير أمثلة هذا النوع من المقالات عند الرافي مقالته (الربيع)، فمادة هذه المقالة تدور حول الطبيعة التي تبهج العيون وتدعو إلى التأمل وخاصة في الربيع، يقول الرافي: " خرجت أشهد الطبيعة كيف تصبح كالمعشوق الجميل، لا يقدم لعاشقه إلا أسباب حبه، وكيف تكون كالحبيب، يزيد في الجسم حاسة لمس المعاني الجميلة!، وكنت كالقلب المهجور الحزين، وجد السماء والأرض، ولم يجد فيهما سماءه وأرضه، ألا كم آلاف السنين وآلافها قد مضت منذ أخرج آدم من الجنة!، ومع ذلك فالتاريخ يعيد نفسه في القلب؛ لا يحزن هذا القلب إلا شعر كأنه طرد من الجنة لساعته." (73) لقد قدم الرافي وبأسلوب سردي صورة واضحة ومفصلة لعناصر الطبيعة تشف عن آرائه وانفعالاته ويقدر من التفاصيل لما شاهده بعفوية واسترسال، الأمر الذي يجعل القارئ يخرج بصورة واضحة عما شاهد الرافي كما لو كان قد شاهد بنفسه.

ولا تقف المقالة الوصفية عند إعطاء صورة واضحة ومفصلة لمكان رآه الكاتب، بل تتجاوز ذلك إلى تقديم صورة واضحة لحادث شاهده أو موقف مر به، ومن نماذج المقالة الوصفية على ذلك، تلك المقالة التي جادت بها قريحة الرافي تحت عنوان (موت أم)، إذ يقول: "رجعت من الجنازة بعد أن غبرت قديمي ساعة في الطريق التي ترابها تراب وأشعة، وكانت في النعش لؤلؤة آدمية محطمة، هي زوجة صديق طحطحتها الأمراض، ففرقتها بين علل الموت، وكان قلبها

الرافي، فكان همهم محاربة المستعمر، وإيقاظ الشعور الوطني العام في نفوس الشعب للمطالبة بحقه في الحرية والاستقلال، كما تركت تلك الأحداث في أدب الرافي أثراً بارزاً، وجرت على قلمه مجموعة من المقالات عالج فيها عدداً من القضايا السياسية في عصره وأبرزها: قضية نفوذ الإنجليز في مصر، وقضية نكبة فلسطين باليهود.

ففي قضية نفوذ الإنجليز أحس الرافي بأن سيطرة الإنجليز على مصر لها سببان: أحدهما تهاون المسلمين وتخليهم عن روح الإسلام، والآخر ولاء الإنجليز لأمتهم وللغتهم، وللرافي مجموعة من المقالات جمعها تحت عنوان كبير: هو (أحاديث الباشا) بلغت ثلاث عشرة مقالة، وقد تحدث الرافي في هذه المقالات عن آرائه السياسية في قضية نفوذ الإنجليز في مصر، فيقول عن هذا الباشا الذي أسند الأحاديث إليه: "كان رحمه الله داهية من دهاة السياسة المصرية، يلتوي مرة في يدها التواء الحبل ويستوي في يدها مرة استواء السيف... وكان ذكياً أريباً، غير أن ملاسته للسياسة الدائرة على محورها جعلت نصف ذكائه من الذكاء ونصفه من المكر، فكان في مراوغته كأن له ثلاثة عقول: أحدهما مصري والآخر إنجليزي والثالث خارج من الحالين، وبهذا تقدم، عاش أثيراً عند الرؤساء من الإنجليز، واستمرت مجاريه مضطرده لديهم حتى بلغوا به إلى الوزارة إذ كان حسن الفهم عنهم سريع الاستجابة إليهم، يفهم معنى ألفاظهم ومعنى النية التي تكون وراء ألفاظهم" (71) (الرافي، 1990، ص 293). وفي مجال الامتيازات الأجنبية يتحدث الرافي عن هذه الامتيازات، فيراها صورة من صور الذل الذي يمارسه الاستعمار حين يتمتع الأجانب بامتيازات لا يتمتع بها أبناء وطنه، وهو يثور على هذه الامتيازات في مقالة (خضع يخضع). وفي نكبة فلسطين قام الرافي كغيره من الأدباء يدافع بقلمه عن فلسطين ويستنهض الهمم من أجلها حين أحس بالنكبة ورأى المأساة التي يعيشها أهل فلسطين، ففي مقالة (أيها المسلمون) يرى الرافي أن محنة فلسطين هي محنة كل المسلمين، وأنه لا بد من المشاركة في الدفاع عنها، وأبسط هذا الدفاع هو بذل المال، فالدفاع عن فلسطين حق وواجب على المسلمين وكل قرش يدفع لفلسطين يذهب إلى هناك ليفرض على السياسة احترام الشعور الإسلامي.

ويتناول الرافي قضية التآمر على الأمة الإسلامية ومحاولة منع توحيد المسلمين، ففكرة جمع كلمة لمسلمين هي هدف لكل مسلم، إلا أن الدول الاستعمارية لم يرق لها هذا الهدف، لذلك منعت تحقيقه من خلال احتلال البلاد العربية والتعاون مع المتآمرين عليها، ويرى الرافي في مصطفى كمال نموذجاً للمنتكرين للإسلام والمسلمين، فيهاجمه في مقالات

عند تأليفه النص الأدبي شعراً كان أو نثراً⁽⁷⁷⁾ (أبو الخشب، 1985، ص72)، وتغاير الأساليب عادة يرجع إلى عدة أساليب منها: الموهبة الفطرية، والبيئة والثقافة وغيرها، وهي بالطبع تختلف من شخص إلى آخر الأمر الذي يجعل الأسلوب صورة خاصة بصاحبه تبين طريقة تفكيره، وكيفية نظرته، وطبيعة انفعالاته. وبالتالي فإنه يمكن تسجيل السمات الفنية التالية للمقالة عند الراجعي من خلال مجموعة من العناصر:

أ- **طريقة العرض:** والمقصود بطريقة العرض هو الشكل الذي تكتب فيه المقالة من مقدمة وعرض وخاتمة، وبالعودة إلى ما كتبه الراجعي من مقالات فإنه يظهر أن الراجعي قد اعتمد طريقة (مقدمة-عرض-خاتمة) كثيراً في بناء مقالاته، فعلى سبيل المثال مقالة (نقد الشعر وفلسفته)، تطالعا المقدمة التالية: "الشاعر في رأينا هو ذاك الذي يرى الطبيعة كلها بعينين لهما عشق خاص وفيهما غزل على حده، وقد خلقتا مهيتين بمجموعة لنفس عصبية لرؤية السحر الذي لا يرى إلا بهما... بل الذي لا وجود له في الطبيعة الحية لولا عينا الشاعر، كما لا وجود له في الجمال الحي لولا عينا العاشق"⁽⁷⁸⁾. فهذه المقدمة تلخص الفكرة التي سيتم تطويرها في صلب المقالة، كما أنها تتسم بقصر حجمها، وبقدرتها على الإثارة و التشويق، ودفع القارئ على أن يستمر في قراءة المقالة حتى النهاية. أما العرض ففيه فصل الراجعي جوانب الموضوع تفصيلاً دقيقاً، إذ قسم موضوعه إلى عدة فقرات وفيها تم عرض الأفكار بتسلسل منطقي مع تقديم الأدلة والبراهين. ثم جاءت الخاتمة وقد كانت موجزة اختار كلماتها بدقة وعناية إذ هي آخر ما يبقى في ذهن القارئ، وقد كان ارتباطها وثيقاً بموضوع المقالة. وهناك طريقة أخرى لكتابة المقالة عند الراجعي وهي طريق (عرض وخاتمة) بدون مقدمة وقليل ما اعتمد الراجعي هذه الطريقة ومن الأمثلة عليها مقالة (صعاليك الصحافة).

ب - **الاهتمام بالصور البيانية والمحسنات البديعية:** يعد الراجعي من أتباع مدرسة التأنيق اللفظي الذين كانوا يرون ضرورة التأنيق في العبارة وجودة السبك، وهم يعيرون على المدرسة الثانية (مدرسة الأسلوب المرسل) سهولة عبارتها وخلوها من المحسنات البديعية ويتهمونها بالضعف⁽⁷⁹⁾ (زهدي، 2009)، فقد عني الراجعي بالتأنيق في عمله الأدبي، واهتم بجمال العبارة والأسلوب والصور البيانية من التشبيه والاستعارة والكنائية، فالمجازات والاستعارات والكنائيات ونحوها من أساليب البلاغة فيما يقول الراجعي أسلوباً طبعياً لا مذهب عنه للنفس الفنية فهي بطبيعتها تريد دوماً ما هو أعظم وأجمل وأدق⁽⁸⁰⁾

يحبيها فأخذ يهلكها، حتى إذا دنا أن يقضي عليها رحمها الله فقصى فيها قضاءه، ومن ذا الذي مات له مريض بالقلب ولم يره من قلبه في علته كالصفورة التي تهتك تحت عيني ثعبان سلط عليها سموم عينيه؟! كانت المسكينة في الخامسة والعشرين من سنّها، أما قلبها ففي الثمانين أو فوق ذلك، هي في سنّ الشباب، وهو متهدّم في سن الموت"⁽⁷⁴⁾.

لقد قدم الراجعي صورة واضحة ودقيقة لجنازة زوجة صديقه كما انعكست في وجدانه، والأثر الذي تركه فقدان الزوجة على زوجها وأبنائها، وقد كانت تلك الصورة لوحة نفسية تبين منها انفعالات الراجعي بصدق وإخلاص، وقد قدم هذه الصورة بألفاظ موحية ومناسبة للموضوع (الدموع، الحرمان، جنازة، الموتى، القبر) بأسلوب سردي تتبع أدق التفاصيل وبتراكيب واضحة سهلة لا غموض فيها ولا تكرار. ومن المقالات الوصفية عند الراجعي مقالته (أيها البحر)⁽⁷⁵⁾، وفيها يقدم الراجعي وصفا للبحر وما يثيره هذا البحر في النفس الإنسانية من أحاسيس ومشاعر، فيرسم بريشة الفنان لوحات تعبيرية وصوراً تتناسب وطبيعة البحر الجميلة، فالشعراء في ساحل البحر يرون أنوثة ظاهرة، والبحر يجعل للزمن فصلاً جديداً يسمى الربيع المائي، وعند البحر يحس العشاق أن البحر يتأوه، وفي هواء الربيع وهواء البحر نوعان من الخمر يكون منهما سكر واحد من الطرب.

وبقدم الراجعي نوعاً آخر من هذا النمط المقالتي هدفه معالجة ظاهرة اجتماعية، وهي الزواج من الأجنيبيات وفيه ينحو منحى السرد المتسلسل، إذ يعتمد الترتيب المتدرج لوقوع الأحداث، فيمر بالبداية التي اتسمت بالطرافة والحيوية لاجتذاب القارئ والاستئثار بانبثابه كما في مقالة (الأجنبيّة)⁽⁷⁶⁾، إذ يقول " أحبها وأحبته، حتى ذهب بها في الحب مذهباً قالت له فيه: لو جاعني قلبي في صورة بشرية لأراه كما أحسه، لما اختار غير صورتك أنت في رقتك وعطفك وحنانك، وحتى ذهبت به في الحب مذهباً قال لها فيه: إن الجنة لا تكون أبدع ولا أحسن جمالاً ولا أكثر إمتاعاً لو خلقت امرأة يهواها رجل إلا أن تكون هي أنت، فقالت له: ويكون هو أنت، ثم العرض وفيه تناول الراجعي الفكرة الرئيسة بالتحليل والتفصيل والاستدلال عليها وسوق الأمثلة، ثم الخاتمة التي جاءت بالتوصية والنصيحة بعدم الاغترار بمعاني المرأة، ونصيحة المصريين بعدم الزواج من أجنبية، فالزواج بأجنبية هو مسدس جرائم فيه ست قذائف.

3- السمات الفنية للمقالة عند الراجعي:

لكل أديب أسلوب يعبر عن طبيعته، ويميزه عن غيره، والأسلوب هو: "الطريقة التي يأخذ الكاتب أو الشاعر نفسه بها

الأدبي، فهو يعد موردا خصباً بمصادره المتنوعة، بما يحويه من فكر إنساني، وقيم فنية خالدة لأن عناصر هذا التراث ومعطياته لها من القدرة على الإحياء بمشاعر وأحاسيس لا تنفد، وعلى التأثير في نفوس الجماهير وعواطفهم، حيث تعيش هذه المعطيات التراثية في أعماق الناس، تحف بها هالة من القداسة والإكبار؛ لأنها تمثل الجذور الأساسية لتكوينهم الفكري والوجداني والنفسي⁽⁸⁶⁾ (زايد، 1972)، وقد كان هذا التراث حاضراً في مقالات الرافعي، وشمل حضوره استدعاء النصوص والشخصيات التراثية، وتعددت الأساليب التي اتبعها الرافعي في التعامل مع الشخصية التراثية، فمن التصريح باسم الشخصية التراثية كما في شخصيات: (أبو حنيفة النعمان)، و(أحمد بن حنبل)، و(أبو تمام)، و(كليلة ودمنة)،... إلى اقتباس أقوال الشخصية، كقول أبي تمام: نأيت فلا مالا حويت ولم أقم فأمتع إذ فجعت بالمال والأهل

وقول المتنبي: ومن يك ذا فم مريض يجد مرا به الماء الزلالا

كما استدعى الرافعي في كثير من مقالاته النصوص الدينية، فما هو يستدعي النص القرآني في مقالته (كلمة مؤمنة في رد كلمة كافرة)⁽⁸⁷⁾ التي جاءت رداً على ذلك الكاتب الذي يلج في تفضيل قول العرب (القتل أنفى للقتل) على قول الله تعالى (ولكم في القصاص حياة)، فيذكر قوله تعالى: (وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم) وقوله تعالى (شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض).

هـ - الاعتماد على أساليب الإنشاء المختلفة: لم يقف الرافعي عند أسلوب واحد من أساليب الإنشاء المختلفة بل تعددت أساليبه وتتنوعت، فقد اعتمد الرافعي على أسلوب الوصف (السرد) في عدد من مقالاته والهدف من هذا الأسلوب هو إعطاء صورة واضحة ومفصلة لمكان رآه الكاتب أو موقف مر به كما في مقالاته (الربيع)، و(موت أم)، و(الأجنبية)، وغيرها. كما اعتمد أسلوب الحوار وأسلوب الجدال، فعندما لجأ إلى أسلوب الحوار فإنه اعتمد هذا الأسلوب في عدد من مقالاته كما في مقالات (المجنون)، و(صعاليك الصحافة)، و(لو)، إذ لغة الحوار هي الفصحى إلا في مواضع قليلة، فلغة الحوار هي لغة الأدب وينبغي أن تتميز بالفصاحة والسلامة، وقد لجأ الرافعي إلى أسلوب الجدال حين قابل الحجة بالحجة كما في مقالته (تاريخ ينكلم) مستشهداً بالقرآن الكريم وبالتاريخ. كما اعتنى الرافعي بأسلوب القصص لما في هذا الأسلوب من عنصر التشويق والقدرة على إيصال الفكرة للمتلقين، وقد اعتمد الرافعي هذا الأسلوب في عدد من مقالاته مثل: (رؤيا في السماء)، و(بنته الصغيرة)، و(زوجة إمام). وقد كان الرافعي

(الرافعي، ص182)، ومن الأمثلة على هذا الأسلوب عند الرافعي قوله: "إن في الشجرة طبيعة صادقة لا شهوة مكذوبة، فالحياة فيها على حقيقتها، وأكثر ما تكون الحياة في الإنسان على مجازها"⁽⁸¹⁾ (الرافعي، ص79)، وقوله: "ذهبت في صباح يوم عيد الفطر أحمل نفسي بنفسي إلى المقبرة، وقد مات لي من الخواطر موتى لا ميت واحد، فكنت وفي جنازة بمشيعيها: من فكر يحمل فكراً وخاطر يتبع خاطراً، ومعنى يبكي، ومعنى يبكي عليه"⁽⁸²⁾ (الرافعي، ص157). كما يظهر اهتمام الرافعي بالصور البيانية حين وظف الاستعارة في عناوين مقالاته وكتبه، وقد تنبه الرافعي إلى القيمة الفنية للعنوان ومثل اختياره هاجساً مفزعا له في بعض كتبه... يدفعه إلى ذلك توقه إلى الجميل والمدهش، فيتخلق معظم عناوين كتبه ومقالاته في صور موحية تضع القارئ في مناخ شعري⁽⁸³⁾ (اللحام، 2007)، ومن الأمثلة التي تدل على هذا المنحى عناوين مقالاته (صرخة ألم)، و(رسالة الابتسامة)، و(نار الكلمة)، و(لؤم المال)، ومن الأمثلة أيضاً عنوانا كتابيه: (حديث القمر)، و(رسائل الأحزان).

ج- السخرية والتهمك: جنح الرافعي في مجموعة من مقالاته إلى أسلوب السخرية والتهمك؛ لما لهذا الأسلوب من أثر في المتلقي، وفي رسم المفارقات الساخرة التي تنثير الذهن وتنبيه الشعور، كما أن هذه السخرية تحتوي على النقد والهجاء والتلميح بقصد التعريض بشخص ما أو فكرة ما أو أي أمر من خلال إبراز الثغرات والسلبيات وما فيه من قصور أو نقص. والسخرية في أسلوب الكاتب تكفل له جانباً من الشهرة إذ تلفت إليه القراء سواء أكانوا ممن يشاركونه الرأي، أم ممن يخالفونه⁽⁸⁴⁾ (عطية، 2015)، والأمثلة كثيرة على أسلوب السخرية والتهمك في مقالات الرافعي كما في كتاب الرافعي (على السفود) إذ كان الكتاب مجموعة من المقالات النقدية التي هاجم فيها العقاد "ولا ريب عندنا أن العقاد بعد هذه السفافيد كالمرأة بعد سقوط أسنانها"⁽⁸⁵⁾ (الرافعي، 2001)، وتظهر السخرية واضحة في عناوين السفافيد: جبار الذهن المضحك، ومفتاح نفسه وقفل نفسه والشعور !!! العقاد اللص، وقد تجاوز الرافعي في هذه المقالات الوجهة الحقيقية للنقد إلى وجهة أخرى لا تمت إلى النقد بصلة. وفي مقالة (أحلام في قصر) يقول الرافعي: "وبعض أولاد الأمراء يعرفون أنهم أولاد أمراء، فيكونون من التكبر والغرور كأنما رضوا من الله أن يرسلهم إلى هذه الدنيا بشروط"، وانتقل الأمير البخيل إلى رحمة الله، وترك المال وأخذ معه الأرقام وحدها يحاسب عنها".

د- توظيف التراث في معالجة المشكلات المعاصرة: لا شك بأن التراث مصدر أساسي ومكون من مكونات العمل

القلمية في سبيل الدفاع عنهما ومقالاته في كتابه (تحت راية القرآن) يدخل في باب تلك المعارك، إذ تصدى لطفه حسين في هذا الكتاب وهاجمه هجوما عنيفا بسبب الآراء التي قدمها طه حسين حول القرآن الكريم والشعر الجاهلي في كتابه (في الشعر الجاهلي).

وقد كشفت هذه الدراسة عن روافد المقالة عند الراجعي، إذ تعددت هذه الروافد وتنوعت، فقد تيسرت له مكتبة والده التي تجمع في ثناياها كتباً كثيرة من نواذر الفقه والدين والعربية، وقد عرف عن الراجعي شغفه الكبير بالقراءة، فهو يقرأ في كل ليلة ثماني ساعات، فمن كتب الأدب العربي التي توافرت له: نهج البلاغة، والبيان والتبيين، والحيوان، وعيون الخبر، والعقد الفريد،....، وفي اللغة والنحو والصرف، مثل: لسان العرب، والقاموس المحيط، والألفاظ الكتابية،...، كما قرأ كثيراً من كتب التصوف وحفظ القرآن وهو في العاشرة. وكان للثقافة الغربية باب في ثقافة الراجعي إذ كان يطالع ما تخرجه المطبعة من الكتب المترجمة، فنرى في كتاباته إشارات لأدباء ومفكرين من الغرب، مثل: الناقد الفرنسي جول لمتز، وشوينهور الألماني، وشكسبير، وفكتور هوغو،....

وقد كشف هذا البحث عن أغراض المقالة عند الراجعي، إذ تمتع الراجعي بعقلية موسوعية مكنته من القراءة بنهم، فكان أن تنوعت معارفه ومقالاته لتشمل: مقالة النقد الأدبي، والمقالة الإسلامية، والمقالة الاجتماعية، والمقالة السياسية، والمقالة الوصفية، وفي هذه المقالات تجلت عبقرية الراجعي ونال شهرة واسعة جعلته من أبرز شخصيات العصر الحديث في ميدان الأدب والنقد، حتى وصف بحجة العرب ونابغة الأدب وأمير البيان. ولا بد للأديب من أسلوب يعبر عن طبيعته ويميزه عن غيره، الأمر الذي يجعل ذلك الأسلوب صورة خاصة تبين طريقة تفكيره، وقد سجل هذا البحث مجموعة من السمات الفنية للمقالة عند الراجعي وقد كشفت عن أسلوبه، ومن أبرز هذه السمات: طريقة العرض، وهو الشكل الذي تكتب فيه المقالة: إذ تمثلت المقالة غالباً لدى الراجعي بطريقة (المقدمة - العرض - الخاتمة)، ومن أبرز السمات الفنية للمقالة عند الراجعي أيضاً الاهتمام بالصور البيانية والمحسنات البديعية، والسخرية والتهكم، وتوظيف التراث في معالجة المشكلات المعاصرة، والاعتماد على أسلوب الإنشاء المختلفة، والاستطراد، أما حجم المقالة عند الراجعي فقد اتسم بالطول وإن تحدد حجمها عند النقاد بأنها معتدلة الطول.

مدركا أيضاً لجمالية التضاد، وهو من الإمكانيات الفنية التي تتيحها اللغة ويستثمرها المبدع في صنع التقابل⁽⁸⁸⁾ (عبدالمطلب، 1995)، وترجع أهميته إلى قدرته على الكشف عن "تلك الحركة التي تموج بها المعاني داخل النص كله عندما يصبح التقابل مرتكزاً بنائياً يتكئ عليه النص في مكوناته وعلاقاته"⁽⁸⁹⁾ (أبو الرضا)، وقد بدا هذا التقابل واضحاً في كتابه الراجعي، والأمثلة كثيرة على ذلك، ومنها قوله: "كُتبت لي أنا لا أتألم في هواك بالألم، ولكن بأشياء منك أقلها الألم، ولا أحزن بالحزن، ولكن بهوموم بعضها الحزن، إنك صنعت لي بكاء ودموعاً وتهدات، وجعلت لي ظلاماً منك ونوراً منك يا نهاري وبيا ليلي"⁽⁹⁰⁾ (الراجعي، 1990)

و- ظاهرة الاستطراد: الاستطراد وهو الانتقال من معنى إلى معنى آخر، لم يقصد بذكر الأول التوصل إلى ذكر الثاني⁽⁹¹⁾ (القزويني، 2003)، وهذه الظاهرة كثيراً ما تجدها في مقالات الراجعي، حين كان يخرج من معنى إلى معنى ثم يرجع إلى المعنى الذي كان فيه، فيعرض حشداً من التخريجات التي يكد ذهنه فيها فيصعب عليه ألا يسجلها، فعلى سبيل المثال لا الحصر مقالته (حافظ إبراهيم)، ففي هذه المقالة يشير الراجعي إلى الشاعر حافظ إبراهيم وقوة شعره، لكنه في نفس الوقت يشير مواضع الضعف والاضطراب في ذلك الشعر، وفي أثناء ذلك كان ينطلق إلى معانٍ أخرى كثيرة قد لا يكون مكانها مناسباً في موضوع المقالة، فتجده تارة يتحدث عن السياسة وتارة أخرى يتحدث عن حقائق الحياة والموت، ليخرج إلى الغزل وأوصاف الجمال وهكذا.

ز- حجم المقالة: لقد تحدت المقالة عند النقاد بأنها معتدلة الطول، لكن السمة البارزة على أغلب مقالات الراجعي أنها جاءت طويلة، فهي تأخذ حيزاً كبيراً في صفحات كثيرة، الأمر الذي يؤدي إلى تعب القارئ، كما في مقالاته (تاريخ يتكلم)، و(السمة)، و(بين خروفين)، وغيرها، أما المقالات المعتدلة الطول فكانت قليلة، مثل: (الربيع)، و(أيها البحر).

الخاتمة

انصب الاهتمام في هذا البحث على دراسة فن المقالة عند الراجعي، إذ قدم الراجعي إنتاجاً غزيراً في هذا الفن، وبث فيه كثيراً من الأفكار والآراء الأدبية والنقدية والفكرية التي تعكس مدى ثقافته وسعة اطلاعه على فنون المعرفة المختلفة، وقد تميزت مقالاته بالجدة والأصالة وغلب عليها طابع الدفاع عن العقيدة الإسلامية واللغة العربية، وخاض كثيراً من المعارك

المصادر والمراجع

المراجع العربية:

- إبراهيم أبو الخشب، في محيط النقد الأدبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1985.
- إبراهيم الكوفحي، مصطفى صادق الرافعي الناقد والموقف، دار البشير، 1997.
- ابن الجوزي (أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي)، صيد الخاطر، دار الكتب العلمية، بيروت.
- أحمد الشايب، الأسلوب، ط8، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1998.
- الخطيب القزويني -جلال الدين محمد بن عبد الرحمن عمر، الإيضاح في علوم البلاغة: المعاني والبيان والبدیع، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003.
- زكي نجيب محمود، في فلسفة النقد، دار الشروق، بيروت، 1986.
- سعد أبو الرضا، في البنية والدلالة - رؤية لنظام العلاقات في البلاغة العربية، الإسكندرية، منشأة المعارف، د.ت.
- سعد محمد عطية، فن المقالة عند بنت الشاطيء، مؤسسة حورية للنشر، الإسكندرية، 2015.
- السيد مرسى أبو ذكري، المقال وتطوره في الأدب المعاصر، دار المعارف، القاهرة، 1982.
- عباس محمود العقاد، يسألونك، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، القاهرة، 1981.
- عبد الحي دياب، التراث النقدي قبل مدرسة الجيل الجديد، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1968.
- عبد الرؤوف زهدي، فن المقالة، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، الكويت، 2009.
- عبد الفتاح الديدي، النقد والجمال عن العقاد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1987.
- عبد القادر الطويل، المقالة في أدب العقاد، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1987.
- عبد اللطيف الحديدي، فن المقال في ضوء النقد الأدبي، ط3، 2003.
- عز الدين إسماعيل، الأدب وفنونه، دار الفكر العربي، القاهرة، 2002.
- علي عشري زايد: بناء القصيدة العربية الحديثة، مكتبة دار العلوم العربية، القاهرة، 1972.
- عمر الدسوقي، في الأدب الحديث، دار الفكر، القاهرة، 1978.

- محمد أبو الأنوار، الحوار الأدبي حول الشعر، دار المعارف، القاهرة، 1987.
- محمد أبو الأنوار، مصطفى لطفي المنفلوطي، مكتبة الشباب، القاهرة، 1981.
- محمد أبو زهرة، ابن حزم: حياته وعصره، دار الفكر العربي، القاهرة، 1954.
- محمد رجب بيومي، مصطفى صادق الرافعي، دار القلم، دمشق، 1997.
- محمد سعيد العريان، حياة الرافعي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، 1955.
- محمد عبد المطلب، بناء الأسلوب في شعر الحداثة "التكوين البديعي"، القاهرة، دار المعارف، ط2، 1995.
- محمد غنيمي هلال، قضايا معاصرة في النقد والأدب، نهضة مصر، القاهرة، 1980.
- محمد يوسف نجم، فن المقالة، دار بيروت، بيروت، 1957.
- محمود أبو رية، رسائل الرافعي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1950.
- مصطفى الشكعة، مصطفى صادق الرافعي كاتباً عربياً ومفكراً إسلامياً، عالم الكتب، بيروت، 1983.
- مصطفى صادق الرافعي، تحت راية القرآن، ط8، دار الكتاب العربي، بيروت، 1983.
- مصطفى صادق الرافعي، على السفود، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001.
- مصطفى صادق الرافعي، وحي القلم، دار الكتاب العربي، بيروت، 1990.
- مصطفى عبد اللطيف السحرتي، الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث، مطبعة المقتطف والمقطم، 1948.
- الدوريات:**
- إسماعيل علوي، الشاعر والمتلقي في كتاب وحي القلم للرافعي، مجلة الأدب الإسلامي، مجلد 11، عدد 43 و44، 2004.
- حسام مصطفى اللحام، ملامح الصورة الاستعارية في النثر الفني عند الرافعي، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت، العدد 25/100، 2007.
- محمد همام، المقالة السجالية في الأدب العربي الحديث، مجلة آفاق الثقافة والتراث، مجلد 10، عدد 40، 2003.
- مصطفى نعمان البديري، النقد عند الرافعي مفهومه وفلسفته، المورد، المجلد التاسع، العدد الأول، 1980.

The Art of the Essay by Mustafa Sadiq Al-Rafi'i

*Mahmmoud F. Al-Qudah **

ABSTRACT

This research aims to study the art of the essay by Mustafa Sadiq Al-Rafi'i, one of the most prominent writers of essay in Modern Arabic Literature. He had prolific production of this art, especially in his book (the Inspiration of the Pen). This study also endeavors to explore the sources of the essay and its purposes according to Al-Rafi'i. The topics of this essay vary and they include different aspects of knowledge. The purposes of the essay can be divided into: critical Islamic, social, political and descriptive ones. Moreover, the study attempts to explain the important technical features of the essay according to Al-Rafi'i as they appear in his various essays. The study draws on the technical approach to achieve its aims. Therefore, the text is analyzed based on two views: subjective and objective. That is, focusing on the self-influenced of the text, the objective text elements and technical assets.

Keywords: Al-Rafi'i, Essay, Arabic, Literature and Critic.

* Center of Languages. Al Al-Bayt University, Jordan. Received on 04/04/2016 and Accepted for Publication on 08/06/2016.